إلى روح القائد الشهيد صخر حبش, "أبو نزار"

ركاد سالم "أبو محمود"
أمين عام جبهة التحرير العربية

أبو نزار القائد المناضل, والمجاهد المؤمن, المثقف والكاتب والأديب, الفنان, الخطيب, والمحاضر. تعجز الكلمات مهما بلغت, والأفكار مهما سمت والخيال مهما اتسع أن يحيط بحياة الرجل, عاشق فلسطين, كرس حياته لها وفي سبيلها منذ نعومة أظافره وحتى الرمق الأخير. أبو نزار قائد الانتفاضة, وكاتب بياناتها, ومتقدم مسيراتها.
في الاجتماع الأسبوعي لكافة الفصائل والقوى الوطنية والإسلامية والتي كان يترأسها, ورغم التباعد الفكري والسياسي بين القوى, كان دائماً بحواره الهادئ والمتزن يصل إلى نتائج نضالية وسياسية. فكان البيان الأسبوعي الذي كانت تترقبه كافة وسائل الإعلام والجماهير.
وكثيراً ما كان يدعو المجتمعين إلى لقاء الرئيس الرمز الشهيد أبو عمار ليتابع عن كثب فعاليات الانتفاضة ويوجه مسيرتها,وليبدي ملاحظاته حول بعض فعالياتها.
رغم انه لم يترك بزته العسكرية يوماً والتي كانت تضعه في مركز الخطر في مواجهة القوات الإسرائيلية التي تستخدم كافة أنواع الأسلحة في مواجهة المتظاهرين ومنها القنص . إلا انه لم يتورع يوماً عن قيادة المسيرات رغم الخطر المحدق به.

عندما دخلت القوات الإسرائيلية رام الله كنت إلى جانبه مع قيادي أخر في مكتبه في عمارة النتشة ولما شعر الجميع بالخطر وتقدم القوات الإسرائيلية إلى المكان غادرنا إلى مكان آخر أكثر أمناً بناءاً على طلبه وعندما حاول العودة إلى مكتبه واصرينا على مرافقته أجاب لنبقى جميعاً لكنه عاد إلى مكتبه ليتفقد المقاتلين ولم تمضِ دقائق حتى حاصرت القوات الإسرائيلية المكان, وفي اتصاله معنا كان قراره ومن معه القتال لكن الصهاينة أمطروا البناية بمختلف أنواع القذائف من غاز الأعصاب, إلى القنابل المسيلة للدموع, وعندما أصبح جميع من في المبنى غير قادر على المقاومة اقتحموا المبنى.

هادئ الطباع, متفائل دائماً, في قسماته العزم مع الإرادة وفي ابتسامته الدائمة الأمل في المستقبل.

وجد في البعث طريقاً للنضال, وفي مبادئه طريقاً لخلاص الأمة, وعندما انتمى إلى فتح التنظيم فقد وجد في فتح تطبيقاً عملياً لفكر البعث وتطبيقاً لمقولة الأمين العام ميشيل عفلق" لا تنتظروا المعجزة فلسطين لن تحررها الحكومات العربية وإنما الكفاح الشعبي المسلح".

كان ضمن كوكبة من البعثيين المؤمنين بالتحرير وبالمقاومة الفلسطينية كرأس حربة نضال الأمة العربية, من هذه الكوكبة الشهيد خالد اليشرطي , والشهيد كمال ناصر, وتوفيق الصفدي وغيرهم الكثير.

غادر فلسطين مكرهاً وعاد إليها قائداً يحمل حلم إقامة دولة فلسطينية بعاصمتها القدس. وبين المغادرة والعودة تاريخ حافل في النضال والتضحيات, فتسلم مختلف المواقع القيادية ومن منطلق جماهيري , فالعمل الثقافي بالنسبة له ليس

جريدة أو مجلة تكتب فقط, رغم انه كان المثقف والكاتب والأديب والشاعر, وإنما عمل جماهيري في المهرجانات والندوات والمحاضرات وقيادة الجماهير.

كان يرعى مختلف الشؤون الثقافية والفكرية, وكانت دار الكرامة التي أسسها مكتبة تزين جدرانها اللوحات التي تعكس مسيرة شعبنا لمختلف الفنانين, فترك في كل بيت كتاب وبيد كل فلسطيني مجلة أو بيان.

من موقع الشاعر والأديب والكاتب والمثقف كان الثائر والمقاوم والمناضل والمجاهد المؤمن. حين كان يصر أن الإسلام ليس حكراً على فصيل أو تنظيم وإنما هو إيمان في القلب وعمل دؤوب في سبيل الناس والمجتمع وليس فقط شعارات ترفع وآيات تكتب.

مسكون بعشقه لفلسطين الأرض والشعب والبحر والسهل جعل منه حياته سراً نضالياً دائماً في البيت كما المكتب وحيثما وجد ليس هناك حيز أخر غير النضال والمقاومة ولا حديث معه إلا عن المستجدات والتطورات.

إيمانه مطلق بالأمة العربية وقدراتها, ولكن في النفس غصة من التقاعس العربي. كان يردد مع الأمين العام القائد المؤسس لحزب البعث, بأن الأنظمة العربية قسمان قسم وجد في القضية الفلسطينية عبئاً فأهملها وقسم وجد فيها منفعة فاستغلها, والاستثناء الوحيد عن هذه القاعدة هو حكم البعث في العراق بقيادة القائد المجاهد صدام حسين الذي كان دائماً وأبداً إلى جانب المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها بشكل عام وحركة فتح بقيادة الشهيد الرمز أبو عمار بشكل خاص.

كان للشهيد القائد صدام حسين حصة في ذهن القائد المناضل

يحيى حبش "صخر حبش" وكان يحتفظ بصور له إلى جانب الشهيد صدام حسين في بيته ومكتبته. كان يتحدث بشكل دائم عن صفاته العربية الأصيلة. عن النخوة والشهامة والإباء, عن الشجاعة والكرم, كان يجد في صدام حسين أمل العروبة ورمزها وقائدها .

عندما خرجت من السجن وكان شعبنا الفلسطيني قد فقد القائد الرمز الشهيد أبو عمار, وفقدت امتنا الشهيد المجاهد المؤمن صدام حسين أمل الأمة ومصدر عزتها وعنفوانها, لا أدري فقد وجدت ابتسامة أبو نزار قد ذبلت وأن صحته قد هزلت فأدركت انه يعاني وان ما أثقل على الرجل أن يصل إلى وقت يرى فيه الأمور تصل إلى ما وصلت إليه. وأمام مجموعة من الصور أخذت له مع القادة بدأ يشرح لي هذه الصورة أخذت لي مع صدام حسين وتلك مع أبو عمار, وهذه مع أبو إياد, وهذه مع أبو الهول,وهذه في بيروت, وتلك في طرابلس, وهذه في تونس, في فلسطين, في عمان. رأيت في الرجل يعود كما عهدته من قبل, مبتسماً صافي السريرة متفائلاً في أن شعبنا لا بد أن ينتصر مع كل هذه التضحيات. رحمك الله يا أبا نزار وأسكنك فسيح جناته.